المناسبة بين الصوت و المعنى في القرآن الكريم

د. عبد الجواد عبد الحسن علي البيضاني
المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة

الملخص:

يُعدّ القرآن الكريم منبعا صوتيا للنطق العربي الفصيح و مادة صوتية مهمة رفدت الدرس اللغوي عند المتقدمين، ومن آياته الكريمة نبراسا في استلهام نتائجها في المزج بين الأصوات و دلالات تركيبها، وكذلك المزج بين اللغة والفكر؛ على أساس أن اللغة العربية من اللغات الحية، فهي تنمو وتتطور كالكائن الحي، ولها سبلها ووسائلها في الإثراء والخلق والإبداع. كما أنها تعرف بانسيابية ألفاظها وجماليتها في التعبير، لذلك استوعبت هذه اللغة سلوك الإنسان العربي وفكره وخياله، لكونها خضعت لقوانين التطور اللغوي التي هي حالة حتمية في جميع اللغات، سواء أكان ذلك في حالة تركيب المفردات، أم كان في توليد مفردات جديدة على وفق النظام الصوتي الذي يحكم اللغة، فهناك مفردات تهمل وتترك فيكتب لها الموت بعد مدة من الزمان؛ إذ تختفي من الاستعمال اللغوي فتبقى جثة هامدة في بطون كتب اللغة فحسب. بينما نجد أن هناك مفردات تظهر إلى الوجود؛ إذ تولد من رحم اللغة عن طريق الاشتقاق أو التعريب، أو عن طريق عوامل الإثراء اللغوي الأخرى. وقد يحدث التطور في المفردة ذاتها، فهذه القبيلة تميل إلى إظهار هذا الصوت،من هذا وقبيلة أخرى تعمل على إخفائه أو التقليل من الاستعمال له، وهذا ناتج عن مؤثرات اجتماعية، أو أن البيئة تتدخل في مثل هذه الظواهر اللغوية، كما هي الحال مع الهمزة التي تعمل البيئة الحضرية على تسهيلها ، أما

البيئة البدوية فنجد أن اللغة في الغالب تميل إلى تحقيق الهمزة أو إظهارها. وما ورد في القراءات القرآنية إن هو إلا اختلاف لهجي بين البيئات العربية . وهناك صلة ما بين الألفاظ ودلالاتها في اللغة العربية، وتتجلى في طائفة من الألفاظ اللغوية التي وردت في القرآن الكريم الذي يعدّ أنموذجاً للبيان العربي، كما أنه كتاب العربية الأكبر ، ويمثل مرجعية الكلام عند العرب ، وحجتها في الفصاحة والبيان .

المقدمة :

في هذه الدراسة حاولت أن أظهر دلالات الصوت اللغوي عند وروده في القرآن الكريم على أنماط متعددة، ومن ذلك ظاهرة تكرير الصوت في الفعل الرباعي المضعف مثل: زلزل ودمدم وزحزح وصرصر وكبكب وما إليها، إذ يتكرر الصوت الأول والثاني، فيصبح الصوت الأول والثالث، والثاني والرابع من جنس واحد. وقد يكون تكرير الصوت عن طريق مضاعفة الصوت الثاني كما في غلّق وقطّع وما شاكلهما ، وهناك ناتج دلالي يتأتى من خلال زيادة الأصوات في بنية الكلمة، فكلما كان المبنى في المفردات كثيرا زادت دلالاتها، لأن الزيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى، مثل: اكتسب، واثاقلتم وغيرهما من الألفاظ.

ولا يقتصر الأمر في زيادة الدلالة على المبنى، بل قد يكون في الصفات التي يحملها الصوت، فهناك الأصوات المستعلية والمجهورة والمهموسة والرخوة أو المستمرة والانفجارية أو الشديدة، فيوصف الصوت بأنه شديد أو رخو كل ذلك يؤثر في الدلالة قوة أو ضعفا، زيادة أو نقصا كما سنلاحظ ذلك في أثناء الدراسة .

وقد انتظمت البحث في موضوعين : تناول الأول حالة التكرير في الفعل الرباعي، وجاء الموضوع الثاني : في الابدال الصوتي .

إن فكرة المناسبة بين الصوت والمعنى قديمة؛ إذ بدأت عند اليونان، ثم انتقلت إلى العلماء العرب الذين حملهم على الربط بين اللفظ ومدلوله اعتزازهم بألفاظ العربية وإعجابهم بها، ومن ثم حرصهم على الكشف عن أسرارها وخفاياها(1).

ولم يقتصر الأمر على العلماء العرب فحسب، فإن بعض المحدثين كان ميالا إلى القول بالمناسبة بين الألفاظ والدلالات، فمن الغربيين **(جسبرسن)** الذي كان ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ودلالاتها، غير أنه حذر من المغالاة في هذا(2) ؛ ويبقى القرآن الكريم معينا لا ينضب للبحث والدراسة، وتظهر فيه العلاقة بين أصوات الألفاظ ودلالاتها متماسكة (3) ؛ إذ تتساوق مع عناية القرآن الكريم بالجرس والإيقاع في الأصوات والمقاطع والعبارات(4).

وهذه محاولة لإظهار ما في القرآن الكريم من ترابط ما بين الصوت اللغوي ودلالاته، أرجو أن أكون قد وفقت في إظهار جانب منها، فإن أصبت فمن الله الكريم الفضل والإحسان، وإن قصرت فهذا شأن الجهد البشري، وحسبي أني عملت (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) ،

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أولا : التكرار في الصوت لتقوية الدلالة

أ) ظاهرة الفعل الرباعي المضعف:

من المظاهر اللغوية التكرار في الأصوات اللغوية، فمن المعلوم أن اللغة العربية ترجع في أصولها إلى البناء الثلاثي في الغالب، وهناك طائفة من الألفاظ ثنائية التركيب، على حين نجد تركيبا رباعيا أو خماسيا فإنما الأصل فيه الثلاثي، وسنعرض مجموعة من الألفاظ التي وردت في الاستعمال القرآني لنعرف كيفية التناسب بين تكرار الصوت وتقوية الدلالة فيها , **و مما** يتكرر فيه الصوت الأول مع الثالث، والثاني مع الرابع:

1- **حصحص:** الأصل في هذه المادة (حصص) ومعناه : وضح وانكشف، ويرى الزجاج اشتقاقها من الحصة، أي تبينت حَصّة الحق من حَصّة الباطل، عندما نقول حصحص الحق. وتأتي الحصحصة بمعنى المبالغة، يقال: حصحص الرجل إذا بالغ في أمره(5). ويبدو أن هذه المبالغة هي نتيجة لزيادة صوت الحاء فأصبح بناء الكلمة رباعيا بعد أن كان ثلاثيا و أصلها (حصّ). وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم مرة واحدة في قصة نبينا يوسف ــ عليه السلام ــ على لسان امرأة العزيز، قال تعالى: "***قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ***"*[1] ، فمعنى حصحص هو ظهور الحق وانكشافه وتمكنه في القلوب والنفوس(6) .

2- **دمدم**: تأتي الدمدمة في اللغة لمعانٍ عدّة، إذ يقال لصوت الهرة دمدمة، ويقال دمدم فلان في كلامه إذا أخرج صوتا غير مفهوم ، ويقال ناقة مدمدمة إذا ألبسها الشحم، وطبق عليها (7). وجاءت مادة دمدم في موضع واحد من القرآن الكريم، قال تعالى: "***فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا*** " *[2] . ومعنى دمدم أن العذاب قد أطبق عليهم وعمهم من جميع الجوانب، كما يقال للشيء السمين، كأنما دم بالشحم دما، إذ جعل الزجاج دمدم من هذا المعنى على التضعيف كما في كبكب وغيرها(8).

3- **رفرف**: يأتي الرفرف في اللغة معنى الحركة، إذ يقال: رفرف الطائر إذا حرك جناحيه، من دون أن يطيرفهو لا يبرح مكانه، ويأتي بمعنى البساط، فيقال فرشوا لنا رفرفا، وهو ضرب من البسط الخضر(9) وقد يأتي الرفرف بمعنى المنتشر من الأوراق(10). فقد وردت كلمة رفرف في القرآن الكريم في موضع واحد منه في وصف حال المؤمنين وما يجدونه

---

*[1] - يوسف : 51 .

*[2] - الشمس 14 .

من نعيم فيها، قال تعالى: *" مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ "*[1]. والرفرف: اسم جنس يأتي بمعنى الجمع ومفرده رفرفة، والمعنى أنهم متكئون على بسط تشبه الرياض. وإذا كانت الرفرفة مأخوذة من الحركة، فهذا يعني أنهم على تلك البسط المرفوعة التي ورد ذكرها في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى: *" وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ "* [2] ، فالتكرير في الصوت يتبعه تقوية في دلالة المادة ، كما هي الحال في حركة البساط أو أجنحة الطائر.

4- **زحزح:** الزحزحة في اللغة هي التنحية والدفع عن الموضع. قال ذو الرمة: **يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا وغافر الذنب زحزحني عن النار**(11) وبهذا المعنى جاء في الحديث الشريف أنه: **(من صام يوما في سبيل الله زحزحه الله عن النار سبعين خريفا)**(12). فقد وردت هذه المادة في موضعين من القرآن الكريم؛ إذ جاءت بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول في قوله تعالى: "*فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ* " *[3] ، ففي الزحزحة تكرير للزح الذي يعني الجذب بعجلة، فمن تخلص من العذاب ووصل إلى الثواب فقد فاز بالمقصد الأقصى والغاية التي لا مطلوب بعدها(13). وجاء في الحديث أن الرسول [ص] قال: **(من أحب أن يُزحزَح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر وليؤت إلى الناس ما يحب أن يُؤتى إليه)**(14). وكذلك وردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الزحزحة. قال تعالى: *(وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)* *[4] ، قال القاضي عبد الجبار: (المراد أنه لا يؤثر في إزالة العذاب أقل تأثير، ولو قال

---

*[1] - الرحمن 76 .

*[2] - الواقعة : 34 .

*[3] - آل عمران : 185 .

*[4] - البقرة : 96 .

تعالى: وما هو بمبعده وبمنجيه لم يدل على قلة التأثير كدلالة هذا القول)(15). ففي الزحزحة معنى أبلغ من الزح، فالقرآن الكريم يختار الجرس المناسب في الموضع المناسب.

5- **زلزل**: تأتي هذه المادة (زل) في اللغة بمعنى الحركة المعتادة، والزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد، يقال: زلت رِجلٌ، تزل والزلة: المكان الزلق، وقيل للذنب من غير قصد زلة تشبيها بزلة الرجل. والتزلزل يأتي بمعنى الاضطراب، إذ إنّ تكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه(16). وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الفعل المبني للمجهول، كما وردت بصيغة المصدر في سورة الزلزلة، قال تعالى: ***(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)*** * [1] فالزلزال ـ بالكسر ـ المصدر، والزلزال بالفتح الاسم، والمعنى أن الأرض حركت حركة شديدة، وفي ذلك تصوير ليوم القيامة. وتأتي الزلزلة بمعنى الحركة، أي انك كررت تلك الإزالة، فضوعف لفظه بمضاعفة معناه(17). وكل ما كان فيه تكرير كررت فاء الفعل وعينه. وجاءت هذه الكلمة بهذه الصيغة للتعبير عن هذه الحركة غير الاعتيادية، فهي أبلغ وأقوى في ذهن السامع، ومن أجل شدة هذه الحركة وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها شيء عظيم في قوله تعالى: ***(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)*** * [2].

6- **صرصر**: الأصل في هذه المادة يرجع إلى الصر والصرة ـ بكسر الصاد ـ وهي شدة البرد. وصرصر تكرر فيها صوت الصاد والراء، وبهذه الصيغة وردت في القرآن الكريم وصفا للريح، قال تعالى: ***(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)*** * [3]. ويأتي الصرصر بمعنى الصوت أيضا، قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر(18).

---

* [1] - الزلزلة : 1 .
* [2] - الحج : 1 .
* [3] - الحاقة : 6 .

ولما كانت الريح الشديدة يكون لها صوت؛ لذا وصفت بالصرصر تشبيها لها بصوت البازي. وقد يكون معنى الصرصر: الشديدة البرودة، مثل الألفاظ الأخرى التي كررت فيها فاء الكلمة وعينها، فكأن البرد قد كرر فيها وكثر ، وجاءت هذه الكلمة لتعبر عن الحالة أبلغ تعبير؛ إذ لا يمكن أن يسد غيرها مسدها بهذه الدلالة الصوتية الخاصة، لما تحمله من وقع تصطك له الأسنان ويشتد فيه اللسان، بجرس أصواتها الذي يضفي صورة الرهبة والفزع (19) .

7- **عسعس:** ذكر أهل اللغة أن عسعس من الأضداد. يقال: عسعس الليل إذا أقبل بظلامه، وعسعس إذا أدبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد هو ابتداء الظلام في أوله أو إدباره في آخره(20). ومما جاء بمعنى أقبل قول الشاعر: **مدّرعات الليل لما عسعسا**(21) ووردت كلمة عسعس بمعنى الإدبار في قول العجاج:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا(22)

وقد وردت هذه المادة في موضع واحد من القرآن الكريم وصفا لليل. قال تعالى: (*وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ*)* [1]. فالعسعسة: هي رقة الظلام في طرفي الليل، فاقسم الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ بإقبال الليل إذا عسعس وبإدباره أيضا ، وفي كل لفظ من هذا النوع فيه تكرير للصوت فإن الدلالة فيه تتكرر أيضا للزيادة في المعنى وإظهاره.

8- **كبكب:** معنى الكبكبة في اللغة هو تدهور الشيء إذا ألقي في هوة حتى يستقر فيها، فكأنه تردد في الكب(23). ويرجع ذلك إلى تكرير الانكباب كأنه إذا ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر(24).وردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول. قال تعالى: (***فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ***

---

* [1] - التكوير : 17 .

وَالْغَاوُونَ) *[1] ؛ تتحدث الآية عن المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة، فيوم القيامة تكبكب الآلهة ومن يعبدونها في نار جهنم. وحقيقة الكبكبة هي تكرير الكب، وجعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، فجاء التعبير القرآني بهذه الصيغة، لأنها أبلغ من (كبوا) للإشارة إلى أنهم يكبون كبا عنيفا فظيعا(25) .

9- **وسوس:** الأصل في هذه المادة هو دلالتها على الصوت، وهو مأخوذ من صوت الحلي (26) ، قال الأعشى:

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت   كما استعان بريح عشرق زجلُ

ويقال لهمس الصائد وسواس أيضا، ومن ثم أطلق الوسواس على كل شيء خفي كالحظيرة الرديئة وما يوحي به الشيطان(27) ، يقال وسوس إليه الشيطان، ووسوس الرجل، قال الشاعر:

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق(28)

وردت هذه المادة في القرآن الكريم ست مرات، يراد بها وسوسة الشيطان، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: *(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ)* *[2] ، فجاءت بصيغة (الوسواس) الذي هو لقب الشيطان، والوسواس بالكسر هو حديث النفس وخطرات الشيطان ، كما جاءت بصيغة الفعل المضارع (يوسوس)، قال أبو عبيدة: (الوسوسة في القرآن الكريم: هي ما يلقيه الشيطان في القلب) (29) . وأطلق (الوسواس) على الشيطان، الذي هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، سمي بذلك إيغالا في المبالغة في التعبير عنه، وكأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه والمراد به ذو الوسواس(30). إن هذه الظاهرة في اللغة العربية، أعني التكرير في بنية

---

* [1] ـ الشعراء : 94 .
* [2] ـ الناس : 4 ، 5 .

الكلمة، قد استحسنها قسم من علماء اللغة، يقول ابن جني: (إن هذا موضع شريف لطيف، قد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته) ، وعن حالة التكرير في الكلمات السابقة، يقول ابن جني في موضع آخر: (اجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر، فكلما ازدادت العبارة شبها بالمعنى كانت أدل عليه) (31).

ثانيا : التضعيف في عين الفعل الرباعي:

هناك صورة أخرى من صور التكرير، هي تكرير العين في الفعل الرباعي؛ إذ جعلوا تكرير الصوت دليلا على تكرير الفعل، فالأصوات تابعة للمعاني فمتى قويت الألفاظ قويت المعاني ، ومتى ضعفت ضعفت، ومن ذلك قولهم: قطع وقطّع، وكسر وكسّر، زادوا في الصوت لزيادة المعنى . (32)

1- غلّق

تأتي صيغة (فعّل) في اللغة بمعنى التكثير في الفعل، مثل قولهم: قتّلت القوم وفرّقت جمعهم، وغلّقت الابواب، ولكن ذلك لا يكون على الاطلاق؛ إذ تأتي هذه الصيغة أحيانا ولا يراد بها التكثير، كما في قولهم: كلّمته وسويته وعلّمته وحيّيته وغذّيته وعشّيته وصبّت المنزل(33).

وردت كلمة غلّق في القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام ، قال تعالى: ﴿*وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ*﴾* [1]، إذ عدل التعبير القرآني عن صيغة (غلق) إلى (غلّق) لغرض بلاغي، قال الراغب: (أغلقت الباب أو غلّقته على التكثير، وذلك إذا أغلقت أبوابا كثيرة أو أغلقت بابا واحدا مرارا أو أحكمت إغلاق باب) (34).

والأصل في هذا مأخوذ من قولهم في كل شيء تشبث في شيء فلزمه قد غلّق يقال: غلق في الباطل وغلق في غضبه، ومنه غلق في الرهن، ثم يعدى بالهمزة فيقال: أغلق الباب إذا عسر فتحه. وجاء (غلّقت)على التكثير لأنها غلقت سبعة أبواب، ثم دعته إلى نفسها(35).

---

* [1] - يوسف : 23 .

2- قطّع:

مادة (ق ط ع) تدل على صرم وإبانة شيء من شيء. يقال: قطعت الشيء أو أقطعه قطعا، إذا فصلته ومنه ما كان مدركا بالبصر كالأجسام أو مدركا بالبصيرة كالأشياء المعقولة، ومن ذلك قطع الأعضاء نحو قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾** * 1 ، فكانت المرأة من شدة دهشتها وحيرتها تقطع يدها، وهي تظن أنها تقطع الفاكهة. جاء في اللسان وصفا لتلك الحالة: (قطعن أيديهن قطعا بعد قطع وخدشنها خدشا كثيرا، ولذلك شدد) (36)؛ ويبدو للباحث أن ورود حكم قطع اليد على السارق و السارقة يخرج إلى هذا المعنى لأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ غفور عند التوبة ، فضلا عمّا يُحدثه بتر اليد من إعاقة بدنيه و أضرار نفسية و اجتماعية و بغض النظر عن الخلاف المذهبي في تفسير القطع وتحديد موضعه ، وحجتنا قوله عزّ وجل : " ***إنّ الله لا يغفرُ أن يُشرَك به ويغفرُ ما دون ذلك*** " * 2 .

فإن الزيادة الحاصلة في هذه الكلمات عن طريق التضعيف، وجدت لزيادة المعنى، وقد اكتفينا بمثالين للاستشهاد بهما على ذلك، وهذه الحالة في اللغة واسعة وكبيرة يقول عنها ابن جني: "زادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه، وكأن أصل هذا إنما هو لتضعيف العين في نحو المثال: قطّع وكسّر وبابهما، وإنما جعلنا هذا هو الأصل، لأنه مطرد في بابه أشد من اطراد باب الصفة"(37). وعن دلالة صيغة (فعّل) في القرآن الكريم يقول أبو حيان: "إنها تدل على التكرير والتكثير، كما تدل على منتهى التفضيل، إذ أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى"(38) ، فجعلوا تكرير العين دالا على تكرير الفعل، نحو فرّح وكسّر فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى(39).

---

* 1 - يوسف : 31 .
* 2 - النساء : 48 ، 110

ثانيا : الإبدال الصوتي

توصف اللغة العربية بأنها لغة الفصاحة والبيان؛ إذ تعبر عن المعاني بأجمل الألفاظ وأحسنها من حيث قوة الأداء التعبيري، إذ تتساوق الأصوات في بنية الكلمة مع ما توحيه من دلالات تثيرها الصور الذهنية التي ترتسم في ذاكرة القارئ والسامع على حد سواء.

وهناك طائفة من الألفاظ تشترك في الدلالة على الشيء، بيد أنها تختلف في صوت واحد عن الكلمة الأخرى، ما يعطي قوة دلالية للكلمة، بحيث تختلف عن الكلمة الأخرى وهذا ما سنلاحظه في الكلمات الآتية:

1- أزّ وهزّ

إن دلالة الأز في اللغة تشبه دلالة الهز، ويقال: أزه أزا وأزيزا مثل هزه، وهي الحركة الشديدة. قال رؤبة:

لا يأخذ التأفيك والتحزّي   فينا ولا طبخ العدى ذو الأز(40)

كما جاء الهز بمعنى الحركة (41) في قول تأبط شرا:

أهز به في ندوة الحي عطفه   كما هز عطفي بالهجان الأواركُ

وردت كلمة أز في القرآن الكريم، في مقام الحديث عن الكفار. قال تعالى: " *أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا* "* [1] ، والمعنى أنها تحركهم تحريكا شديدا.

في حين جاء التعبير القرآني بكلمة (هزّ)، في الخطاب الإلهي الموجه إلى مريم ــ عليها السلام ــ ، قال تعالى: "*وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا*"* [2] ومعنى هزي: أي حركي جذع النخلة، ولأنه جذع يقتضي التحريك الشديد(42).

---

* [1] - مريم : 83 .

* [2] - مريم 25 .

فالأز والهز يأتيان بمعنى الحركة، وهما في اللغة بمعنى واحد، بيد أن اختلاف الصوتين أدى إلى اختصاص كل صوت بالحالة التي سيق من أجلها. يقول ابن جني: (الهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز) (43).

وهكذا نجد ان التعبير القرآني قد امتاز بالدقة في اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المقام بما يلائمه. ففي الحديث عن الكفار اختار الأز، لما في صوت الهمزة من شدة وصلابة، فالهمزة توصف بأنها من أشد الحروف في اللغة العربية، وهي أكثر الأصوات ملاءمة للبيئة البدوية لما فيها من الشدة والقوة؛ لذا فإنها ناسبت المقام الذي وردت فيه، في حين اختيرت الهاء في مقام الخطاب الموجه إلى مريم ــ عليها السلام ــ ، انسجاما مع الحالة النفسية التي كانت تتسم بالقلق والاضطراب، لما كان يكتنفها من ظروف اجتماعية؛ إذ كانت متهمة في عفتها، فكيف تضع امرأة وليدا من غير زوج، فكان صوت الهاء الذي يتصف بالهمس والرخاوة أكثر مناسبة للموقف الذي عبر عنه؛ فجاء الصوتان أكثر ملاءمة للحالة التي عبر عنها كل من الصوتين في هذين الموضعين المختلفين.

2- مكة و بكة

ذهب قسم من علماء اللغة إلى أن اشتقاق بكّة مأخوذ من الإزدحام والتدافع. يقال بك الناس بعضهم بعضا إذا ازدحموا. قال الراجز:

إذا الشريب أخذته أكّه فخله حتى يبكّ بكّه(44)

وقيل سميت بكة لأنها تبكُ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم، قال عبد الله بن الزبير: (لم يقصدها جبار قط بسوء إلا وقصه الله عز وجل)(45).

أما تسمية (مكة) فهو مأخوذ من قولهم: امتككت الماء إذا مصصته،

فسميت مكة بهذا الاسم لقلة مائها وكأن ماءها قد امتك. وكانوا يسمون الماء الذي يستخرجونه بهذا الاسم: المكة أو المكاكة. قال الشاعر:

يا مكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذحجا وعكا(46)

وهناك من يرى أن بكة ومكة اسمان لمسمى واحد ، قال مجاهد: (بكة هي مكة، وجعله نحو: سبد رأسه وسمده، وضربة لازب ولازم في كون الباء بدلا من الميم) (47).

ولم ترد المادة في القرآن الكريم سوى مرتين، مرة بلفظ مكة وأخرى بلفظ بكة، ففي معرض إشارة القرآن الكريم بالفضل والامتنان على المؤمنين، قال تعالى: ***" وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا***" * [1].

وجاء لفظ بكة في قوله تعالى: ***" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ***"* [2].

وذهب قسم من علماء اللغة إلى التفريق بين اللفظين. قال أبو عبيدة: (بكة هي اسم لبطن مكة) (48). وقال الطبري: (بكة موضع مزدحم الناس للطواف، فبكة موضع البيت ومكة ما سوى ذلك) (49).

ويبدو أنهما يحملان دلالة واحدة، لأن الباء والميم يحصل بينهما تبادل صوتي لاتحاد هذين الصوتين في المخرج والصفة، فهما صوتان مجهوران، ومخرجهما من الشفة. وقد يرجع الاختلاف في النطق إلى اختلاف البيئة التي تنطق بالباء أو الميم، تبعا للقبائل العربية، وإن كان المفسرون لا يشيرون إلى من يقول بكة ولا يقولها بالميم (50) .

3- نضح ونضخ

الأصل في دلالة مادة (ن ض ح) في اللغة هو رش الماء، قال أهل اللغة: يقال لكل ما رق نضح، ومنه نضح جلده بالعرق، قال أبو طالب:

---

* [1] - الفتح : 24 .
* [2] - آل عمران : 96 .

بورك الميت الغريب كما بورك نضح الرمان والزيتون(51)

ومادة (ن ض خ) قريبة في الدلالة من مادة نضح، إلا أن النضخ أكثر منه(52). والنضخ: شدة فور الماء في جيشانه وانفجاره من ينبوعه، قال أبو علي: (ما كان من سفل إلى علو فهو نضخ وعين نضاخة إذا جاشت بالماء)(53).

وقد وردت مادة نضخ في القرآن الكريم، وصفا لعين الماء ، قال تعالى: " ***فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ*** "* [1]. ومعنى نضاختان أي فوارتان، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الخفيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه(54) ، لأن الخاء من حروف الاستعلاء، والاستعلاء من أوصاف القوة، وحروفه تفيد التفخيم؛ لذا اكتسبت الكلمة قوتها الأدائية في التعبير عن المعنى، من قوة صوت الخاء.

5- وسل وصل

الأصل في مادة (و س ل) هو الرغبة والطلب، والواسل الراغب إلى الله تعالى، قال لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي دين إلى الله واسلُ(55)

وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل، قال تعالى: "***أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا*** " * [2]، والوسيلة إلى الله سبحانه وتعالى هي مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة(56).

وتأتي توصّل بمعنى توسّل، يقال: توصل إليه أي تلطف في الوصول إليه، وجاء في حديث عتبة والمقدام: (أنهما أسلما فتوصلا بالمشركين حتى خرجا إلى عبيدة بن الحارث. وتوصلا بمعنى توسلا وتقربا) (57).

فالوسيلة والوصيلة بمعنى ، بيد أن إحداهما تتفوق على الأخرى في الدلالة؛ إذ إنّ الوسيلة أخص من الوصيلة، فالصاد أقوى صوتا من السين لما فيها من الاستعلاء المتمثل بصفة الإطباق، في حين أن السين يتصف بالهمس ما

---

* [1] - الرحمن : 66 .
* [2] - الإسراء : 57 .

يجعله أضعف من الصاد. فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف(58).

إن التبادل الصوتي بين الكلمات يضفي عليها دلالات خاصة، بحسب ما يحمله الصوت من صفات؛ لذا فإن دلالة الألفاظ تتقابل بما يشاكل أصواتها من أحداث، فكثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها(59).

وعن هذه الحالة في اللغة يقول السيوطي: (انظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني؛ فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتا، وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسا) (60).

الخاتمة :

1- التضعيف في الآفعال الثنائية مزية وظفها القرآن الكريم في مواضع مهمة لغاية نفسية و إيقاعية و دلالية .

2- أغلب الكلمات التي أظهر قوة تأثيرها القرآن الكريم كانت جارية على ألسنة العرب قبل الرسالة ، لكن بتأثير قليل في النفس .

3- منهج القرآن الكريم في توظيف هذه الألفاظ يعدُ جانبا من جوانب الإعجاز البياني فاق بلاغة العرب و فصاحتهم .

4- تنوعت أساليب البيان في القرآن الكريم في بناء الكلمة منها توظيف الأفعال مضعّفة العين في مواضع الخطاب لغايات صوتية دلالية .

5- ملحظ مهم وجدناه في توظيف الأفعال الثلاثية المشددة، وهو استعمالها المزدوج : تارة على أصل اللفظ و تارة أخرى على الابدال الصوتي من دون استحداث معنى جديد ، بل تغير صوتي في الفعل لغايات مفصلة في كتب المعربين و النحويين .

الهوامش :

(1) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: حسام النعيمي: 292.
(2) المصدر السابق : 292
(2) المصدر السابق : 312
(4) فقه اللغة العربية: كاصد الزيدي: 54.
(5) اللسان: 477/2.
(6) التفسير الكبير: 126/18.
(7) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: 255/5.
(8) المفردات: 178.
(9) أساس البلاغة: 242.
(10) المفردات: 205.
(11) اللسان: 346/4.
(12) المصدر السابق : 4:347.
(13) التفسير الكبير: 108/9.
(14) سنن بن ماجه : 1844 .
(15) التفسير الكبير: 187/3.
(16) ينظر: المفردات: 219.
(17) التفسير الكبير: 18/6.
(18) الكتاب: 218/2، ينظر: الخصائص: 154/2.
(19) نظر : المصدر السابق .
(20) معاني القرآن وإعرابه: 226/5.
(21) اللسان: 247/6.
(22) التفسير الكبير: 73/31.
(23) المقاييس: 124/5.
(24) اللسان: 573/7.
(25) ينظر: التفسير الكبير: 141/24.
(26) ينظر : المصدر السابق .
(27) المفردات: 537.
(28) الأساس: 674.
(30) التفسير الكبير: 199/32.
(31) الخصائص: 154/2، 156.

(32) المصدر السابق : 153/2.
(33) إصلاح المنطق: لابن السكيت: 145.
(34) المفردات: 366.
(35) التفسير الكبير: 92/18.
(36) اللسان: 416/7.
(37) الخصائص: 269/3.
(38) ارتشاف الضرب من لسان العرب: 84/1.
(39) المزهر في علوم اللغة ، للسيوطي ، 1/ 42.
(40) اللسان: 141/1.
(41) المصدر السابق 1/ 143.
(42) المفردات: 520.
(43) الخصائص: 148/2.
(44) الجمهرة: 19/1، وينظر الكشاف: 447/1.
(45) الجامع لأحكام القرآن: 138/4.
(46) الجمهرة: 120/1.
(47) المفردات: 67.
(48) مجاز القرآن: 97/1.
(49) جامع البيان: 7/4.
(50) المصدر السابق 4 : 118 .
(51) المقاييس: 438/5.
(52) المصدر السابق : 438/5.
(53) اللسان: 588/8.
(54) الخصائص: 260/2؛ وينظر: المزهر: 50/1.
(55) المقاييس: 110/6.
(56) المفردات: 538.
(57) اللسان: 322/9. قد مت دل
(58) الخصائص: 162/2.
(59) المصدر السابق : 160/2.
(60) المزهر: 53/1.

المصادر و المراجع

1 – القرآن الكريم

2 – ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبي حيان الأندلسي ، تحقيق : د. مصطفى أحمد النحاس ، مكتبة الخانجي القاهرة 1984 .

3 – أساس البلاغة ، ابو القاسم الزمخشري ، مطبعة دار الكتب القاهرة 1972

4 – إصلاح المنطق ، ابن السكيت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ن دار المعارف القاهرة 1970 .

5 – التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، ط3 ، دار الفكر بيروت 1985 .

6 – جامع البيان في تأويل القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1999 .

7 – الجامع لأحكام القرآن ، ابو عبد الله محمد بن أحمد ا لقرطبي ن تحقيق : محمد بيومي و عبد الله المنشاوي ، مكتبة الإيمان ، القاهرة.

8 – جمهرة اللغة ، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد ، 1344 هـ .

9 – الخصائص ، ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد علي النجار ، دار الكتب القاهرة ، 1952 .

10 – الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني ، د. حسام النعيمي ، دار الحرية للطباعة و النشر بغداد 1989 .

11 – سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الألباني ، مكتبة التربية لدول الخليج ، ط3 ، الرياض 1988 .

12 – فقه اللغة العربية ، كاصد الزيدي ، مديرية دار الكتب ، الموصل ، 1978 .

13 – الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط3 مكتبة الخانجي ، القاهرة 1988 .

14 – الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل و وجوه التأويل ، ابو القاسم الزمخشري ، تحقيق: عبد الرزاق المهري ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2003 .

15 – لسان العرب ، ابن منظور الأفريقي ن دار صادر ، بيروت 1968 .

16 – مجاز القرآن ، أبي عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي القاهرة .

17 – المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، جلال الدين السيوطي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1985 .

18 – معاني القرآن و إعرابه ، ابو اسحاق ابراهيم بن السرس الزجاج ، تحقيق : د . عبد الجليل الشلبي ، دار الحديث القاهرة 2004 .

19 – المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصبهاني تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة بيروت .

20 – مقاييس اللغة ، ابو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، إيران .

Research recap

Arabic language of modern languages, they grow and develop as an organism, and have their own ways and means in enrichment and creativity. It is also known as wegmalitha in the expression seamlessly spoke louder than their words, and therefore characterized as a musical language, because language phenomenon of social and lrgr evolution which is inevitable in all languages, whether a was in the case of installation of vocabulary, and in generation of new vocabulary with audio system governing language there are vocabulary and left it disregarded her death after writes of time; disappear from the language use, remain motionless in the written language.

While there are vocabulary appears to exist; born from the womb of the language through derivation or localization, or through other linguistic enrichment factors.

Evolution may occur in the same individual, this tribe tend to show that sound, and another tribe to hide or minimize its use, and this is the result of social influences or environmental intervene in such linguistic phenomena, as is the case with the work of the urban environment (the traducer) to facilitate either nomadic environment, we find that language often tend to achieve humaza or show, and in Koranic readings is only dialectal difference between Arabic environments.

There is a link between words and meaning in the Arabic language, reflected in a range of linguistic terms contained in the Qur'an which is the Arab statement form, it is the largest Arabic book, representing speech reference when Arabs, arguing eloquently and statement.

In this study tried to sound linguistic semantics showed when mentioned in Quran on multiple styles, including the phenomenon of sound-refining in already weakened Quartet: earthquake and Crump and removed wesarsr and upset etc, repeated sound I and II, becomes the sound I and III, II and IV of the same sex. Refining volume may be by multiplying the second sound as in close and disconnect and conform to them, there are semantic result comes through more votes in the structure of the floor, where the building was substantially increased vocabulary and meaning, because the increase in building followed by an increase in question, such as: acquired, wathakltm and other words.

Not only in the increased significance at the building, but may be in the sound qualities, there is the gain and the pronounced voiced sounds and soft technologies and the volatile or persistent or severe, described the sound as severe or flabby all affect signal strength or weakness, increase or decrease as we see during study.

Search has assembled in two themes: the first case dealt with in refining, was already four theme II: in the audio replacement.

The idea of appropriate between sound and meaning old; initiated when Greece, then moved on to Arab scientists who get linking Word connotation pride and admiration by Arabic words, and hence their eagerness to reveal secrets and its caches (1).

> Not only was the Arab scientists, some modern was inclined to say by the way between words and meanings, Westerners (gsbersn) who was who are winning the appropriate ' between words and meaning, but he warned that excessive (2).

Quran remains a wellspring for research and study, and shows where the relationship between the sounds of words and coherent meaning; compatible with carefully Quran Bell and rhythm sounds, syllables and words (4).

This is an attempt to show what the Holy Quran from the thread between linguistic voice and its, I hope that I have succeeded in showing the part, was it God Karim thanks charity, and shortened this human endeavour, would suffice I worked (and less work, God will see your work and his Messenger and the believers),